من تراب الطريق (٢٣٥)

سخاء وتوالد الحياة ! (*)

هل تأمل أحد فى آيات الحياة الولاَّدة من حولنا !!.. لو تأملنا بذور الجوافة والتين والعنب ولب الخيار والقرع والبطيخ والشمام وحب الحبوب والبقول - لرأينا فيها دليلا ماثلا أمام كل عين على سخاء الحياة وغناها الهائل، وعلى إصرارها الذى لا يكاد يُغلب...

فهى لا تسمح بإفلات أية فرصة قريبة أو بعيدة للبقاء والتوالد، وتتخذ من الانتشار والإكثار وسيلة من وسائل المزيد من بقاء الحياة كأصل، وبقاء النوع كفرع، وأنه بما أودع فيه يكفى أى حركة للبذرة أو مافى حكمها فى أى اتجاه، ولأى سبب .. واع أو غير واع .. لإيجاد فرصة لانطلاق حياة جديدة.. ففى مصادفة عجيبة تتلاقى فيها - لحظة الاجتماع - كل الشرائط اللازمة والملائمة لهذا الانطلاق الذى يبث إلى الوجود حياة جديدة .

ومن يتأمل يرى أن الكائن الحى لا يكف قط عن محاولة الإبذار .. تهيأت تلك اللحظة أو لم تتهيأ .. تحقق التوالد بالإبذار أو بغيره - أو لم يتحقق .. لا يستغنى الكائن قط عن هذا الإبذار وما فى حكمه .. لأن الحياة دءوبة وفى صيرورة لا تعرف اليأس، وإصرارها أبدا لا ينفد .. وليس لها عمر ببداية ونهاية كأعمار الكائنات .. وهى فى ديمومتها واستمرارها وإصرارها تتعامل مع الأحداث والأشياء ومدى روابطها وكيفيتها - على أساس لا تبديل له أنها هى الباقية والأحداث والأشياء غير دائمة !

(*) المال ٢٠٠٩/٣/٣١

بخلاف تعامل الآدميين معها، فإننا نوجد ونزول كما تزول الأحداث والأشياء .. ويحتاج وعينا إلى أن يكون له زمان ومكان، وتاريخ وماض وحاضر ومستقبل، ومقر وموطن .. لنحيا حياتنا الواعية المدركة التى نتصورها ونتذكرها فى إطار الزمان والمكان فقط ! .. وبدون هذا " الإطار " لا يكون فى وسعنا أن نتصور أو نتذكر ما مر أو يمر بحياتنا الواعية !

* * *

وقد يتساءل المتأمل : هل يوجد " تصميم " لخلقة وتكوين أى كائن حى سابق على وجود الكائن .. وأين ومتى وكيف ؟ هل هذا السؤال وارد أم أنه من أصداء وعينا الذى يعيش فى إطار الزمان والمكان ؟

قالوا إن مادة الـ D. N .A موجودة فى الكروموزومات والمادة الخلوية، وأنها هى التى توجه أنشطة الخلايا فى الكائن إلى أنواعها واختصاصاتها ووظائفها، وتكوّن وتشكل الأعضاء والأجهزة المختلفة للكائن على مدى حياته .. بيد أن هذه كلها أمور كلية لا تفسر خصائص واستعدادات الكائن الفرد . ومن أين جاءت وما هى الأسرار والقدرات الذاتية الكامنة فيها ؟!

ومن يتأمل منا الحياة فى نفسه، يجدها بأنواعها وألوانها نظاما كاملا متكاملا عميقا شديد العمق صارم القواعد والضوابط، وليست كما يقول البعض - صدفة من صدف الكون ولا خبطة عشوائية جزافية غير مقصودة . وصدق الخالق جل شأنه إذ يقول فى محكم تنزيله : " سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ " (الأعراف : ١٤٦)